المشرق

الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

طالما تاقت النفوس الى معرفة احوال الطوائف الشرقيَّة في الاجيال الغابرة لما وراء ذلك من الفوائد كشفاً للنُّقب عن الحقائق التاريخيَّة ودحضاً للتُّهَم التي يختلقها قوم ليس لهم من العلم الَّا قشرتهُ . لكنَّ دون بلوغ المنى عقباتٍ شتَّى لما طمستهُ كوارث الدهر من الآثار وما أبادت يد الأيام من المصنَّفات الخطيرة

على انَّ كثيرين من ارباب البحث قد قاموا في هذه الاعوام الاخيرة ينقِّبون عن اخبار الشرق النصراني في الكتب القديمة ويقلِّبون ما حوَتهُ المكاتب من الرقوق والصكوك عسى ان يقفوا على ما تكنُّ من المعلومات عن بلادنا فيستخرجونهُ من مطاميره

وممَّن كلفوا بجمع تلك الآثار بعض آباء رهبانيَّتنا اليسوعيَّة نخصُّ منهم بالذكر الاب بطرس مرتين صاحب تاريخ لبنان المتوفَّى سنة ١٨٨٠ والاب لويس كسافاريوس ابوجي المتوفَّى سنة ١٨٩٥ فانَّهما كانا سعيا باستنساخ عدَّة مخطوطات وجداها في رومية في خزائن مكاتبها لاسيَّما مكتبة رهبانيَّتنا حيث تُحفظ آثار جليلة من كتابات المرسلين الاقدمين الراقية الى القرن السادس عشر . وكانت نيَّتهما

ان يعدّنا تاريخاً المشرق الكاثوليكي ولسالتنا السورية الذيعة لولا ان مرضاً مزمناً حال دون رغبتهما فماتا وبقيت مجموعاتهما مدفونة

على انّ الله كان دعا الى رهبانيّتنا شاباً في مقتبل العمر من اسرة كريمة حلبيّة نريد به فقيد رسالتنا في العام الماضي الاب انطون رباط. فهذا اذ اطّلع قبل سامته كاهناً على تلك الآثار الباقية تعشّق الدروس التاريخيّة واخذ يسعى في توفير تلك المادّة ليقوم بالعمل الذي عجز عنهُ سلفهما وساعدتهُ على تحقيق مرغوبه العناية الالهيّة ورؤساء رهبانيّته فانّ ما وجدهُ فيهم من التنشيط قولاً وفعلاً وطّأ امامهُ العقبات فأخذ يكدُّ جبينهُ ويسهر عينهُ رجاء ان يحصل على ما خزنتهُ المكاتب الدوليّة من تلك الآثار فلم تذهب مساعيهِ سدًى لانّهُ اطّلع في مكاتب باريس وخزائن الدولة الفرنسويّة في وزاراتها الخارجيّة والبحريّة والاستعمارية على اضابير مضبورة فيها السجلّات والرسائل والتقارير وتفاصيل الرحل للمرسلين والسفراء والقناصل كتبوها للاحبار الرومانيين او لموكهم ورؤسائهم وهم لم يقصدوا من كتابتها سوى إطلاعهم على حقائق الامور التي شهدوها بالعيان. فنقل منها كثيراً ثمّ باشر بنشرها في لغاتها الاصليّة في كتابهِ المنون بالآثار الخطيّة لتاريخ الكنائس الشرقيّة الذي وصفناهُ وصفاً واسعاً في المشرق سنة ١٩٠٧ (١٠ : ٧٤٥–٧٥١) وبيّنّا عظم شانهِ. وقد ظهر من هذا التأليف خمسة اقسام يبلغ مجموعها نيفاً والف صفحة. والامل معقود على متابعة نشر الباقي منها بهمّة احد آباء كليّتنا

وكان المرحوم الاب انطون رباط يريد ان يستخلص من هذه الكتابات المتفرّقة كتباً شتّى ينشرها بالعربيّة وكتب في ذلك فصلاً تمهيديّاً تحت عنوان « العلاقات بين الشرق والغرب » في المشرق ١٤ [١٩١١] : ٥٤٨) فاجأتهُ المنون قبل اتمامهِ. ولدينا من آثار مساعيهِ عدّة اوراق متفرّقة تدلّ على انّهُ كان متعشّقاً لتاريخ بلادهِ ينقّب عن كل خفاياه ويروم رفع شؤون وطنهِ

وكنّا نحن اخوتهُ في الرهبانيّة ولا سيما الفقير راقم هذه الاسطر ننهض همّتهُ وندفعهُ الى مواصلة ابحاثهِ لئلّا تبقى كنوزهُ الادبيّة مخفيّة واذ قضى الله بفراقهِ لم نشأ ان تضيع تلك المآثر الجليلة فجمعناها واضفنا اليها قسماً كبيراً مما حظينا بهِ بتفتيشنا الشخصي في مكتبتنا الشرقيّة او في خزائن بعض الخواص

ولما كانت هذه الآثار تستغرق صفحات عديدة بل كتباً برمّتها قصرنا الآن بحثنا على تاريخ الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة في القرنين السادس عشر والسابع عشر وهو فصل جليل من تاريخ الشرق المسيحي لا يزال معظمهُ مجهولاً

الطائفة المارونية قبل القرن السادس عشر

منذ دخل الصليبيّون اصقاعنا السوريّة فاستوطنوا السواحل ومدّوا سيطرتهم على قسم من البلاد الداخليّة انضمّ اليهم الموارنة وتوثّقت بينهم روابط الوداد المبنيّة على وحدة الدين. ومنذ ذاك العهد أُلِفَ بشرّ مارون طريق رومية مركز الوحدة الكاثوليكيّة وصارت تدور بين الكرسي الرسولي والطائفة المارونيّة الراسلات المتبادلة والكتابات الرسميّة التي لا يزال قسمٌ منها في سجلات الدار البطريركيّة الفخيمة او في خزائن الڤاتيكان يرقى اقدمُها عهدًا الى اينوكنت (زخيا) الثالث الذي استدعى سنة ١٢١٣ بطريرك الموارنة ارميا العمشيتي (١٢٠٦—١٢٣٠) لحضور المجمع اللاتراني الرابع مع براءته الى البطريرك المذكور يمنحهُ مع شعبهِ فيها عدّة انعامات (١)

وتواردت بعد ذلك كتابات الاحبار الرومانيين الى الموارنة من اينوكنت الرابع (١٢٤٣—١٢٥٤) في السنتين ١٢٤٣ و١٢٤٦ وبائهِ من اسكندر الرابع (٢) (١٢٥٤—١٢٦١) سنة ١٢٥٦ ثمّ انقطعت المكاتبات نحو مئتي سنة لما اصاب الشرق من البلايا بغزوات المغول ثمّ باستيلاء الدول المصريّة على الشام. وكذلك الكرسي الرسولي بقي عدّة سنين مبتلًى بحبس شتّى لانتقال الباباوات الى فرنسة ولانقسام الممالك المسيحيّة في طاعتها لحبرَين اعظمين لم يُعرَف أيُّهما الشرعي

ثم استؤنفت المخابرات بين الطائفة المارونيّة والاحبار الرومانيين بواسطة المرسلين الفرنسيّين حافظي الاراضي المقدسة كفرا جوان وفرا غريفون ثم فرا سوريانوس(٣ وذلك على عهد اوجانيوس الرابع في كتاب تاريخهُ سنة ١٤٣٩ الى البطريرك يوحنّا

---

١) اطلب مجموع البولّات المارونيّة الذي نشرهُ باللاتينيّة حضرة الخوري طوبيا العنيسي (Bullarium Maronitarum, p. 1-9)

٢) وفي تاريخ الدويهي (ص ١١١) يدعى « اسكندر السادس » وذلك غلط طبعي واضح

٣) راجع في المشرق ( ) مقالتنا عن تاريخ القصادة الرسوليّة في سوريّة

الحاجي ذكرهُ الدويهي في تاريخه ولم نجد صورتهُ في مجموع البولّات. ثم توالت البراءات الرومانيَّة الى بطاركة الموارنة الاجلاء بعد اوجانيوس الرابع من خلفائهِ نيقولا الخامس (١٤٤٧—١٤٥٥) وكالسطس الثالث (١٤٥٥—١٤٥٨) في السنتين ١٤٤٧ و١٤٥٥ الى البطريرك يعقوب الحدثي (١ ثم بولس الثاني (١٤٦٤—١٤٧١) سنة ١٤٦٩ (٢ وسكسطس الرابع (١٤٧١—١٤٨٤) سنة ١٤٧٥ الى البطريرك بطرس بن حسَّانه وهي آخر البراءات الحبريَّة في القرن الخامس عشر. امَّا في القرن السادس عشر فتوفَّرت تلك المناشير البابويَّة فأحصى منها جامع البولّات المارونيَّة عشرين براءة من لاون العاشر الى غريغوريوس الثالث عشر الذي اوَّل كلامنا عنهُ في مقالاتنا وكلُّها الى البطريركين شمعون بن حسَّان ابن اخي البطريرك بطرس وخلفهِ (١٤٩٢—١٥٢٤) ثم موسى بن سعادة العكَّاري (١٥٢٤—١٥٦٧)

على انَّ هذه البراءات التي تدلُّ كلُّها على سبق الموارنة في خضوعهم لخلفاء هامة الرسل لا تدور غالباً الَّا على التماس دوع التثبيت من الاحبار الاعظمين وانَّما تبيَّن رغبة الشعب الماروني الى من يسعى في شؤونهم الروحيَّة ويصونهم من البدع المحدقة بهم لئلَّا تخنق تلك الوردة العطرة اشراكُ الاضاليل. فيظهر من اجوبة الكرسي الرسولي انعطاف ورضاء الكنيسة نحو اولئك الابناء الاحباب فتارةً يمنحون السادة البطاركة الانعامات الخاصَّة وتارةً يؤازرونهم بالتقاط الرسوليين للاهتمام بامورهم واصلاح ما لعلَّهُ طرأ عليهم من الخلل كما يلوح من براءة لاون العاشر بخصوص الميرون (مجموع البولّات ص ١٧). وحيناً يحلُّون مشاكلهم التي عرضوها عليهم في المعتقدات الدينيَّة كما ترى في براءة بولس الثاني الى بطرس بن حسَّان حيث يوضح لهُ دستور الايمان الكاثوليكي بخصوص الثالوث الاقدس والقنوم السيد المسيح وطبيعتيهِ ومشيئتيهِ مؤيداً كلامهُ بآيات الانجيل ونصوص الآباء الاقدمين (مجموع البولّات ص ٢٢). بيد انَّ الاحبار الرومانيين ومثلهم البطاركة المارونيُّون كانوا يودُّون لو تكون العلاقات بين رومية ولبنان اوثق فينال الموارنة من معين الكنيسة الرومانيَّة

---

١) وهو يُدعى في مجموع البولّات (Bull. Maronit., 17 et 18) باسم بطرس او يعقوب بطرس لانَّ اسم بطرس كان يعمُّ كل البطاركة

٢) كذا في مجموع البولّات (ص ٣٥) وهو الصواب وفي الدويهي « سنة ١٤٦٦ »

زيادة نمرّ ورقي لولا انّ الخاطر العديدة التي توارت في ذلك الزمان كالحروب المتوالية بين الاتراك ودول الفرنج وتجوّل القرصان في البحر المتوسط كانت تعوقهم عن تحقيق امانيهم حتى انّ الذين كانوا يُرسَلون الى رومية ليطلبوا للبطاركة الجدد درع الرئاسة لم يمكنهم العود الى الشام الّا بعد سنتين واكثر. فكان يحصل بسبب هذه العوائق عدّة أضرار تتفاقم بطول الزمان فيصعب بعد ذلك تلافيها ولاسيّما انّ الموارنة كانوا يجهلون اللغة اللاتينيّة لغة رومية الرسميّة فيحتاجون الى تراجمة وربما وقع بذلك سوء تفاهم. ومن ثمّ كان يرى بطاركة الموارنة حاجة الطائفة الى معلّمين يدرسون اللغات الاوربيّة وقد ارادوا سدّ ذلك الخلل بارسال بعض الاحداث الى رومية ليتعلموا هناك ثمّ يعودون الى وطنهم فيهذّبون ابناء جلدتهم كما صنع البطريرك شمعون الحدثي اذ ارسل سنة ١٥١٥ راهبين الى رومية ليتعلّما اللغة اللاتينية فلم ينجحا وكذلك البطريرك موسى العكّاري طلب من البابا بولس الثالث ستّة من الرهبان الفرنسيسيّين ليعلّموا في لبنان اللغة اللاتينيّة لبعض احداث الموارنة فلم يتمّ مرغوبهُ

الرهبانيّة اليسوعيّة والشرق

الّا انّ الله في تلك الاثناء كان ارسل الى كنيسته عضدًا جديدًا بانشاء الرهبانيّة اليسوعيّة على يد شهم من ابناء الدولة الاسبانيّة اسمهُ اغناطيوس دي لويلا. فهذا الرجل العظيم اذ كشف لهُ الرب بطلان المجد العالمي وقف نفسهُ لخدمة الكنيسة لاسيما ابناء الكنائس الشرقيّة ولمّا جمع اوّل رفقته العشرة ليسيروا معهُ في خلاص النفوس دعاهم الى السفر معهُ الى بلاد الشام والاراضي المقدسة لكنّ حرب البنادقة مع الاتراك حالت دون مرامهم وبقوا في ايطالية متطوّعين في خدمة اهلها تحت رعاية رؤساء الكنيسة مترقّبين الفرصة لاخراج نيّتهم الى حيّز الوجود

وما لبث الحبر الاعظم بولس الثالث ان انتدبهم الى مساعدة الشرقيّين وردّ الضالّين منهم الى الحظيرة البطرسيّة فأرسل اوّلًا فرنسيس كسافاريوس الى الهند واليابان والصين فكان اوّل رسول الشرق الاقصى (١٥٤١—١٥٥٢). ثمّ عهد البابا عينهُ رسالة الحبشة الى جمعيّة يسوع سنة ١٥٤٧ فدخلها المرسلون وتتابعوا فيها

مدّة نحو مائتي سنة يبشّرون فيها بالايمان الكاثوليكي ويبذلون في ارتداد اهلها الى وحدة الكنيسة كلّ عزيز حتى مات منهم كثيرون صبرًا واستشهد غيرهم ومن جملتهم احد ابناء وطننا وهو المكرّم الماروني الاب ابراهيم جرجس اليسوعي تلميذ مدرسة الموارنة في رومية كما سترى. ولا جرم انّ ازدهار الكثلكة في أيامنا بين الحبشة يُحسب كثمرة دماء اولئك الشهداء الابطال

ثمّ قام بعد بولس الثالث خلفهُ يوليوس الثالث فرأى ما كان عليهِ الشرق الادنى من الحاجة الى غيرة المرسلين ومساعدة المسيحيين وعلم انّ اقرب طريقة الى ذلك انشاء المدارس في تلك الجهات فحرّر براءة تاريخها ٣ تمّوز سنة ١٥٥٣ اوّلها « Cum præsertim » اعلن بموجبها امرهُ الرهبانيّة اليسوعيّة بان تفتتح ثلاث مدارس في الشرق اولاها في اورشليم والثانية في القسطنطينيّة والثالثة في قبرس وذلك كما يقول الحبر الاعظم « لترميم جدران الكنائس الشرقيّة واعادة رونقها القديم (١ » لكنّ موانع كثيرة اعترضت لمقاصد يوليوس الثالث اخصّها ما في اقامة مدرسة في القدس من المخالفة لانعامات سابقة كان الكرسي الرسولي خوّلها رهبان القديس فرنسيس منها ألّا يقيم غيرهم في الاراضي المقدّسة

على انّ الله لم يسمح بوفاة القديس اغناطيوس الّا بعد ان متّع ابصارهُ برؤية احد ابناء الشرق الذي كان الله اعدّهُ لينوب عنهُ في خدمة الطوائف الشرقيّة ولا سيما الموارنة الذين استحقّ بان يُدعى بسوفهم في ذلك القرن يزيد بهِ الاب يوحنّا المعمدان الياني المعروف عند الشرقيين بالاب جوان باطشتا. ولا بُدّ لنا قبل الخوض في موضوعنا من تعريفهِ وتلخيص ترجمتهِ

الاب يوحنا الياني اول مرسل يسوعي الى الموارنة

وُلد الاب يوحنّا الياني السنة ١٥٣٠ في الاسكندريّة (٢ من ابوين كريمي النسب من الجنس اليهودي. وكان ابوهُ تاجرًا اسبانيًا استوطن الصقع المصري واقترن بفتاة كانت

(١ وهذه البراءة كانت اخذها من الضياع فوجدها الاب ه. لامنس في مكتبة اكونت روسّي الشهيرة في ڤينة عاصمة النمسة فنشرها في مجلة الابحاث (Etudes, 1897, *Janvier*)

(٢ اطلب دائرة المعارف اليهوديّة (The Jewish Encyclopedia II, 501)

ابنةٌ لاحد مشاهير علماء اليهود في عصره يُدعى الياس اللاويّ (Elijah Levita) الذي وُلد في نوشتات (Neustadt) سنة ١٤٦٨ وتوفي في البندقيَّة سنة ١٥٤٧ بعد ان اشتهر بالتعليم والتأليف حتى أُلقب بالمتبحِّر (אליה התחור) والنحويّ (הדקדק) واللغويّ (הלשון) قال فيه ريشار سيمون (١ : « الياس اللاوي اعظم الكتَّاب المتقدمين بين اليهود برَّز عليهم جميعاً في علم اللغة ». وقال سكاليجر معاصرهُ (Scaliger, *Epist.63*) « الياس اللاوي وحيد هذا العصر وسيِّد العلماء الباحثين ». وقال رينان (٢ : « قد فاق الياس اللاوي على العلماء الملقَّبين بالكمخي وأنست شهرتهُ شهرتهم لانهُ بلَغ الآداب العبرانيَّة والتلموديَّة اقصى درجات الرقي في زمانهِ وعنهُ اخذ كثيرون من النصارى علم العبرانيَّة »

وكان الياس اللاوي مع علمهِ وسعة معارفهِ كريم الاخلاق منزَّهاً عن التعصُّب طالباً للعلم الصحيح ومن ثمَّ ألقى عن عاتقهِ كثيراً من التقاليد الصبيانيَّة الرائجة في كتاب التلمود وبعض اسفار اليهود ولذلك اصبح صديقاً لكثير من المسيحيين ووكل اليهِ اصحابُ الرتب الكنسيَّة تعليم اللغات الشرقيَّة فدرَّسها في پادوة وروميه وفي إسني من اعمال صوابيا وفي البندقيَّة حيث توفي (٣ . ولتقرُّبهِ من النصارى عزاهُ قوم من آل نحاتهِ الى المروق من دينهِ بل ذهب المؤرخ الستد (Alsted) الى انهُ مات نصرانيًّا والله اعلم

ودُعي الاب الياتو باسم جدهِ الياس ولمَّا مات ابوهُ وهو صغير اخذهُ جدُّهُ الياس اللاوي وعُني بتربيتهِ وتربية اخيهِ الكبير متعزِّياً بتثقيفهما عن فقدهِ لاولاده . واذ وجد حفيدهُ الياس متوقد الذهن راغباً في العلوم اقبل على تعليمهِ املاً ان يكون يوماً شرفاً لعائلتهِ وفخراً لملَّتهِ الاسرائيليَّة فتجوَّل معهُ في كثير من البلاد كايطالية

---

١) في كتاب نقد العهد العتيق (Richard Simon : *Hist. Critique* du N.T., p.177)

٢) في كتاب تاريخ اللغات السامية (Renan : *Hist. des Langues sémitiques*, 1863, p.174)

٣) راجع دائرة المعارف اليهوديَّة The Jewish Encyclopedia, VII,46-49 ثمَّ تاريخ المؤلفين العبرانيين (Rossi : *Dizion. Stor. degli Autori Ebrei*, I, 108)

والمانية فتعلّم الشاب عدّة لغات كالاسبانيّة والطليانيّة واللاتينيّة والالمانيّة ولاسيما العبرانية التي برع فيها حتى استظهر الكتاب المقدّس في اصله العبراني. وقد سهّلت لهُ معرفتهُ للغة اجداده درسَ اللغتين السريانيّة والعربيّة حتى تمكّن كما سترى من قراءة كتب العرب والسريان والاقباط دون صعوبة

ولمّا كانت سنة ١٥٥٢ عاد الياس اللاوي الى البندقيّة فاستأذنهُ حفيدهُ في الذهاب الى مصر ليرى اقاربهُ ثمّ يزور القدس الشريف وبعض البلاد الشرقيّة فسمح لهُ جدّهُ بذلك وعاد الشاب الى اهله وسكن بينهم سنتين فدرس اللغة العربيّة وتكلّم بها بين مواطنيهِ ثمّ طاف بلاد فلسطين وعاين هناك زوّار النصارى للقدس الشريف الذين كانوا يقدمون من سائر اقطار العالم ليعفّروا جباههم في ثرى الاراضي المقدسة بحياة وموت يسوع الناصريّ. فكان الياس يعدّ فعلهم هذا حمقاً فلا يرى في يسوع الّا مسيحاً دجّالاً

وبينما هو يتجوّل هناك اذ وردت عليهِ رسائل من اهلهِ ومن المجمع الاسرائيلي في مصر تعلمهُ بتنصّر اخيهِ البكر في البندقيّة وتحضّهُ على السير الى تلك المدينة ليردّهُ الى دين آبائهِ. فامتعض الشاب الياس لهذا الخبر وابحر الى ايطالية على طريق القسطنطينيّة فاجتمع باحد اعمامهِ وهو الطبيب سَلمون الاشكنازي (١ ثمّ ركب السفينة من الاستانة الى البندقيّة

فلمّا رأى اخاهُ حاول ان يقنعهُ بكل ما لديهِ من الحجج ببطلان النصرانيّة لكنّ العالم اصبح مصيدًا بعد قليل لانّ فيتوريو (وهو اسم الاخ بعد معموديّتهِ) زيّف كل حججهِ واثبت لهُ بالادلّة النيّرة صحّة الدين النصراني. واذ كان الياس مستقيم النيّة يطلب الحقيقة بلا مكابرة عمل فيهِ كلام شقيقهِ واخذ يدرس العقائد النصرانيّة ويقابلها بنصوص الاسفار المقدسة ونبوّات الانبياء. وكان وقتئذ رئيساً على دير البندقيّة احد مشاهير الرهبان اليسوعيين وهو يعظ في كنائسها الكبرى فيتقاطر الناس لاستماع كلامهِ اسمهُ الاب اندراوس فروزيوس من تلامذة القديس

١) راجع تاريخ الدولة العثمانيّة لهامر (B^on de Hammer: *Hist. Ottom.* II. 279) ونظنّ انّ اصحاب دائرة المعارف اليهوديّة (The Jewish Encycl., II, 500) نسبوا الاب اليانو الى سَلمون هذا لدعوة (Giovanni Baptista Salomo Romano Eliano)

اغناطيوس وكان عالماً باللغة العبرانيّة فاخذ ڤيتوريو اخاهُ الياس الى الرئيس المذكور الذي رحّب بهِ وطيّب قلبهُ وقد ذكر الياس عن ذاته انّهُ لقي بهِ ملاكاً لا انساناً لما وجدهُ فيهِ من التُّقى والعفاف واللطف فعرض عليهِ كل ما كان يعنُّ لهُ من المشاكل الدينيّة فكان الرئيس يحلّها بما لا يدع لهُ مجالاً للاعتراض . وتردّد عليهِ الياس عدّة اسابيع حتى حصحص لهُ نور الحق بكل جلاء وزهق الباطل

على انّ الياس لم يشأ ان يتنصّر لخوفهِ من شرّ اليهود البندقة ومن سخط اهلهِ ومكايد الرّبانيين لكنّ ضميرهُ كان يبكّتهُ على تأجيل معموديّتهِ وعرف اسقف المدينة بحالتهِ فسعى بأن يدخلهُ في دير الآباء اليسوعيين وكتب الاب فروزيوس الى القديس اغناطيوس فسمح بان يُقبل الياس في الدير بصفة ضيف . وبعد شهرين قضاهما بالصلاة والدرس والمناظرة مع الاب فروزيوس طلب بالحاح ان يُصنّع بناء المعموديّة لخطبي برغوبهِ يوم عيد القديس متى الرسول (٢١ ايلول سنة ١٥٥١) بحضور جمع غفير من اشراف البندقيّة يتقدّمهم اخوهُ ڤيتوريو . فأثّرت هذه الحفلة في قلب الياس ايّ تأثير فكان يقول انّ ابواب السماء فُتحت لهُ وانهُ يشعر بشيء من سعادة الارواح السماوية ولاضطرام غيرتهِ كان يريد ان يذهب الى جميع الاسرائيليين في البندقيّة ويبشّرهم بالمسيح ويدحض اكاذيبهم لولا انّ الاب فروزيوس اشار عليهِ ان يعمل بالتؤدة والفطنة . وقد ابدل الياس اسمهُ يوم معموديّتهِ فتسمّى منذ ذاك باسم يوحنّا المعمدان (جوان باطشتا) واشار الى اصلهِ القديم بلقب اليانو ونوّه ايضاً بتنصرهِ بنسبتهِ نفسهُ الى رومية فدُعي رومانو

وكانت تُقرأ وقتئذٍ على مائدة الرهبان اليسوعيين رسائل المرسلين في الهند واليابان والحبشة فكان يسمعها الشاب المتنصّر فتثير في قلبهِ الرغبة في التبشير باسم المسيح في اصقاع الشرق وذلك ما دعاهُ الى ان يطلب الانضمام الى الرهبانيّة اليسوعيّة بعد قليل . فعاد الاب فروزيوس وكتب الى القديس اغناطيوس ليستطلع رأيهُ في ذلك . ومما قالهُ في رسالتهِ المحفوظة الى يومنا انّ الشاب المتنصّر مجمّل بصفات فريدة وبارع في العلوم ويعرف ما خلا العبرانيّة اللغات الطليانيّة والاسبانيّة والالمانية والعربية والتركيّة وانّهُ سكن مدّة في القاهرة ورحل الى اورشليم . فاجابهُ القديس بان يقبل الشاب بين الرهبان بعد امتحان دعوتهِ وثباتهِ . ففعل الاب فروزيوس ولمّا

تحقّق انّ دعوتهُ من الله لم يمازجها شيء من الغايات البشريّة ضمّهُ الى رهبانه (١

فانضوى جوان باطشتا تحت راية اغناطيوس بفرح عظيم وباشر امتحانات الطالبين بكل غيرة ليطبع في قلبه الفضائل الرهبانيّة تحت نظارة رئيسه الاب فروزيوس الذي شهد لهُ بكتاباته انّهُ سيصير يوماً عاملاً نشيطاً في كرم الرب . ومن آثار فضله في تلك المدّة سميهُ في إمارة اليهود الذين عرفهم سابقاً وكان السيد ليومانو اسقف المدينة يتّخذهُ رفيقاً في تبشيره للاسرائيليين فردّ بعضهم ونصّرهم

وفي ١٧ ايلول من السنة ١٥٥٢ استدعى القديس اغناطيوس الى رومية الاب فروزيوس ليجعلهُ رئيساً على المدرسة الالمانية المنشأة حديثاً فسافر واستصحب معهُ يوحنّا اليانو ليدرس في رومية العلوم الفلسفيّة واللاهوتيّة فانكبّ عليها عدّة سنوات وفي نهايتها رُقّي الى درجة الكهنوت نحو السنة ١٥٦٠ وكان مدّة دروسه في رومية لم يحل ابناء جلدته الوسريين بل كان يتردّد اليهم ويعود مرضاهم ويحسن الى المحتاجين منهم وقد اسعدهُ الحظّ بردّ قوم منهم الى الايمان المستقيم

وكان اخوهُ ڤيتوريو اليانو دخل ايضاً في سلك الكهنة العلمانيين وصار قانونيّاً وعهدت اليه السلطة الكنسيّة بفحص الكتب التي تُطبع في اللغة العبرانيّة في كريمونا والبندقيّة سنة ١٥٦٧ فرخّص بنشر كتابين عبرانيين يدعى احدهما كتاب الزُّهر والآخر كتاب الطور . وبهمّته جمع ديوان التفتيش الروماني نُسَخ التلمود واحرقها لمضامينها الباطلة في ٧ نيسان سنة ١٥٥٩ فنقم عليه اليهود بسبب ذلك

امّا الاب يوحنّا فبعد كهنوته اخذ يستعدّ لخدمة النفوس وعهد اليه رؤساؤهُ تدريس اللغات الشرقيّة في المدرسة الرومانية لكنّ الكرسي الرسولي ما لبث ان استدعاهُ لخدمة الكنيسة فارسلهُ برفقة الاب كرستوفور رودريغس الى بطريرك الاقباط جبرائيل السابع (١٥٢٦ — ١٥٦٩) الذي كان بلّغ الحبرَ الاعظم بنيّته في الخضوع لسلطانه الشرعي . فسافر الايرانان في ٢ تموز سنة ١٥٦١ ولم يعودا الى رومية الّا بعد سنتين . وقد كابد كلاهما من المشاقّ ما يطول شرحهُ وكاد الاب

---

١) انّ بين قوانين الرهبانية اليسوعيّة بنداً يمنع دخول اليهود المتنصّرين بين ابنائها . الّا انّ هذا القانون وضعتهُ الرهبانيّة بعد وفاة القديس اغناطيوس

يوحنّا اليانو يذهب ضحيّة بعض يهود مصر الذين سعوا باغراء امّه ان يقتلوه بحكم الوالي المسلم فلم ينجُ من ايديهم الّا بعد شقّ النفس بوساطة قنصل البندقيّة وقوم من التجّار الذين دفعوا لخلاصه مبالغ طائلة واركبوه سفينة سارت به الى قبرس وكادت تغرق فنجا الركّاب بعد نذر نذره الاب اليانو ووعد بعض الركّاب ان يتنصّروا على يده اذا وصلوا الى قبرس سالمين فرحمهم الله وانقذهم من الموت واعتمد غير المؤمنين وبعد قليل ابحر الاب اليانو الى ايطالية (١

ومن السنة ١٥٦٣ الى ١٥٧٧ عهد الرؤساء الى الاب اليانو بتدريس اللغتين العبرانيّة والعربيّة في المدرسة الرومانيّة مع خدمة النفوس في عاصمة الكثلكة بالوعظ وتوزيع الاسرار وعُني خصوصاً باليهود المقيمين هناك فانار بعضهم بنور الايمان من جملتهم احد مشاهير مائه الياس كركوسي الذي عُرف بعد ذلك باسم ميشال غسلاري (Michel Ghisleri) فعُني الاب اليانو مع الكردينال الكسندرين الذي صار حبرًا اعظم باسم بيوس الخامس بتنصير هذا الرجل بعد فكّ مشكلاته وقد حصل للاب أليانو بسبب ذلك سمعة واسعة وكان اعيان رومية يُكرمون بصادقته

وفي تلك الاثناء عزم البابا غريغوريوس الثالث عشر على ان يجدد العلاقات الوديّة بين الكرسي الرسولي والطائفة فاراد ان يوجّه الى لبنان قاصدًا رسوليًّا يوقفه على كل احوال الطائفة المارونيّة وحاجتها فلم ير لذلك رجلًا اجدر بهذه المهمّة من الاب يوحنّا اليانو فاختاره لهذه السفارة وعزّزه بالتعليمات الضافية لهذا الشأن وكذا فعل الكردينال كرافّا حامي الطائفة المارونيّة وعيّن له رئيس الرهبانيّة اليسوعية كرفيق رحلته الاب يوحنّا بونو وآزرهما بالارشادات ليحسنا القيام في عملهما بما امكنهما من الحكمة (لهُ تابع)

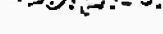

(١) ويتبنا عن رواية اعمال الاب اليانو ورفيقه عند الاقباط ما نشره في ذلك المرحوم الاب اطون رباط في تأليفه « الآثار الكتابيّة في الكنائس الشرقيّة » وهو يقيف على ستة صفحة (ج ١ ص ٢٠٨ – ٢١٤)